إلا جزئياً، وذلك بسبب محاصرة المعنى وسيطرته على تفكير الجرجاني. وهذه نتيجة متوقعة في تلك الفترة من حضارة الإنسان. فالعربي المسلم كان مشغولاً فكرياً في مبحث كلامي استحوذ على الفكر العربي في قرونه الأولى، حول مفهوم (القديم) و (الحادث) وكان الكلام واللغة عامة مرتكز الجدل في ذلك في مسألة (القرآن) وتنزيله من الله أو خلقه، وفي كلتا الحالتين يكون القول تالياً ولاحقاً، ومن هنا جاءت فكرة الانفصال بين الشيئين وأسبقية أحدهما على الآخر[13]. وقد كان الجرجاني متكلماً أشعرياً، وغاياته كانت دينية. كما أن مسألة العلاقة بين التفكير واللغة، وأسبقية التفكير فيها كانت هي المفهوم السائد لدى المتقدمين من علماء اللغة عرباً وغير عرب، على أساس أن الألفاظ (أوعية للمعاني) وهي (لا محالة تتبع المعاني في مواقعها) وسبيل النظم في ذلك أن المنشيء (يرتب المعاني في نفسه وينزلها ويبني بعضها على بعض) كما ينص الجرجاني[14] ويؤكد. وهو يحدد حركة النظم على (الوجه الذي يقتضيه العقل) وهو (ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالألفاظ على حذوها)[15].

وهذا هو الرأي المسيطر على تصور الجرجاني في كل مداخلاته عن (النظم) ولم يتحرر منه إلا حينما هجس بفكرةٍ سماها (معنى المعنى) تتفق مع مفهوم (الائتلاف في الاختلاف) من حيث ارتكازها

(13) لقد أفاض الدكتور محمد عابد الجابري في هذه القضية الكلامية وفصل. انظر كتابه: **نقد العقل العربي**، جـ 2، **بنية العقل العربي**، ص 59 وما بعدها، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1986).

(14) الجرجاني: **دلائل الاعجاز**، 43.

(15) المرجع السابق، 41.